

كلار مصطفى مشرفة

من رواد العلم في القرن العشرين



دار الفكر العربي

علي مصطفى مشرفة

من رواد العلم فى القرن العشرين

(١٨٩٨ - ١٩٥٠)

دكتور أحمد فؤاد باشا

أستاذ الفيزياء

ووكيل كلية العلوم - جامعة القاهرة

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربى

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت: ٢٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٢٧٥٢٧٣٥

٦ شارع جواد حسنى - ت: ٢٣٩٣٠١٦٧

www.darelfikrelarabi.com

INFO@darelfikrelarabi.com

المحتويات

- * قالوا ٧
- * خير خلف لخير سلف ٩
- * نبوغ مبكر ١٢
- * إنما يخشى الله من عباده العلماء ١٥
- * عطاء علمى متصل .. وطموح لا يتوقف ٢٠
- * تأصيل العلوم ٢٤
- * إن من البيان لسحرا ٢٧
- * فلسفة الأخلاق ٣٠
- * الفنان ٣٣
- * قطوف من آراء مشرفة: ٣٤
- فى العلم والدين ٣٤
- فى طرق تشجيع البحث العلمى ٣٦
- فى حياتنا العلمية .. ماذا يعوزها؟ ٣٨
- فى النقد الأدبى ٤٠
- فى الموسيقى ٤٢
- * مواقف ذات مغزى ٤٦
- * أهم المراجع ٤٨



الأستاذ الدكتور علي مصطفى مشرفة

قالوا...

«.. لقد كان مشرفة رائعا، وكنت أتابع أبحاثه فى الذرة بكل ثقة، لأنه كان من أعظم علماء الفيزياء».

ألبرت أينشتين

«.. كان مشرفة أستاذًا بحق.. وهو المصرى الوحيد الذى يمكن أن تسند إليه أستاذية الرياضة التطبيقية بالجامعة المصرية».

نيلز بوهر

«.. كان مشرفة من أعظم علماء الفيزياء الرياضية فى العالم.. وقد كنت أتطلع بثقة بالغة إلى الأعمال العظيمة التى كان قائما بها فيما يتصل بأبحاث الذرة»

السير أوين ريتشاردسون

«.. أمثال مشرفة من النابغين النابهين، الذين يرفعون ذكر أوطانهم، والذين يضيفون إلى الكنوز الإنسانية فى العلم والمعرفة، أمثاله قليلون، إذا خسرهم الوطن، فلا بد من صبر طويل، وانتظار متصل، قبل أن نظفر بمن يخلفهم، وإذا فقدهم العلم، فلا بد له كذلك من انتظار حتى يجد من يتم ما بدأه».

طه حسين

«قد عرفت الدكتور مشرفة سياسيا، وشاعرا، وفيلسوبا، وأديبا قبل أن أعرفه عالما. كنت أحس معه أننى فى حضرة دائرة معارف من عدة أجزاء، كل جزء متخصص فى فن من الفنون أو علم من العلوم».

مصطفى أمين

« ليست الواقعية فى فكر «الرَّجُل» هى البعد عن الغيبىات، فهذا منهج فى الواقعية ينتهجه الملحدون ومن هم قرييون منهم فى اتجاهاتهم الدينية، ولا هى بالإذعان للواقع المستقر والخضوع للنظم المستتبة، وإنما هى واقعية التغيير التى تضع فى الاعتبار دينامىكية الزمن وإستاتىكية القيم»

محمد الجوادى

«من النواحى البارزة فى حياة مشرفة إيمانه العميق بالبحث العلمى، وكفاحه المتواصل لخلق روح علمية خيرة، رائدها البحث عن الحقيقة، وهو لا يغفل فى كل ذلك ما يفيد المجتمع من البحوث العلمية، وكان له القدح المعلى فى مجال البحث العلمى، وكان اسمه لامعا بين علماء الطبيعة الرياضية، وكان فى كل بحوثه فى مركز القيادة، وكم فخرت مصر باسمه يذكر فى الكتب والمجلات العلمية، وبصوته يرتفع فى محافل العلماء».

محمد مرسى أحمد

«أدهشنى أن عالما متخصصا فى الرياضيات العليا يمكن أن يهتم برواية «عودة الروح» . . إنه على اطلاع واسع بالثقافة وفروعها من أدب وفكر وفن . . . كيف أمكن أن يوجد لدينا عالم مصرى من هذا الطراز؟ يظهر أن مصر فى ذلك العهد قد نهضت وهى حبلى برجال ما كان أحد يظن أن فى إمكانها إنجابهم فى هذه الفترة»

توفيق الحكيم

«نال مشرفة لقب الباشوية، وهو غنى عنه بلقبه العلمى ومركزه العالمى، ولعل اللقب هو الذى كان مفتقراً إلى أمثال «علي مشرفة» ليسترد بعض اعتباره، ويعتذر عن طول ابتذاله»

عبده حسن الزيات

خير خلف لخير سلف

آمن علماء الحضارة الإسلامية بدور العلم ومكانته في حياة الإنسان، وأدركوا أنه لا تعارض بين العلم والدين، وأن النشاط العلمي لا بد أن يكون منسجما في بداياته وغاياته مع مبادئ العقيدة الإسلامية ومقاصدها وغاياتها، وأن العلم الذي يحصلونه ينبغي أن يكون مسخرا لخدمة الدين الإسلامي وإعزاز الأمة الإسلامية، وأن يكون في الوقت نفسه عامل تقدم وازدهار وارتقاء لحياة البشر على الأرض، ولهذا فإنهم سخروا علمهم للدفاع عن عقيدتهم ونصرة دينهم على أساس الحق والعدل ومحاربة الباطل والظلم والتخلف، ولم يسخروا معارفهم في صنع وسائل الدمار والهلاك واستعمار الشعوب. . وكانوا يبحثون في مختلف العلوم على أساس إيمانى، فالحساب كان ضروريا للموارث والوصايا والمعاملات التجارية، والفلك لمعرفة مواقع البلدان ومواقيت الصلاة وفصول السنة والمواسم الدينية، والفيزياء لفهم القوانين العاملة في الكون الذي نعيش فيه، وعلم النبات لمعرفة خواص مختلف النباتات ومنافعها ومضارها وآفات وطرق غرسها ورعايتها وعلاج أمراضها، وهكذا بالنسبة لبقية فروع المعرفة العلمية.

وعلى ضوء هذه الروح العلمية الإيمانية التي رفع منارها دين الإسلام الحنيف، مهر علماء الحضارة الإسلامية لتحصيل كل جديد في العلوم وتطبيقاتها، وقدموا أقوى دليل على أثر الإيمان في إثراء الفكر وازدهار الحضارة، وظلت مؤلفات الكندي وابن سينا وابن الهيثم والبيروني والخوارزمي وغيرهم مراجع معتمدة حتى عهد قريب، ينهل منها العلماء والباحثون في بلاد الشرق والغرب على حد سواء.

ولعل أهم ما يميز علماء الحضارة الإسلامية أنهم سبقوا - بفضل الهدى الإسلامي - إلى فهم طبيعة العلم والتقنية بما يصحح الاستخدام

الإنسانى الخاطئ لهما على نحو ما حدث بعد ذلك على أيدي أنصار
الفلسفات المادية والمذاهب الوضعية البعيدة عن هدى الله تعالى .

وإذا كان بعض المستشرقين والمؤرخين يسعون إلى التهوين من شأن
الحضارة الإسلامية ودورها الرائد فى دفع مسيرة المدنية، ويشككون فى
قدرات العقلية الإسلامية على الإبداع والابتكار، ويتخذون من واقع
التخلف الذى تسربت فيه الأمة الإسلامية دليلاً على صدق دعواهم،
فإن الحق غير ما يزعمون، فالمخطوطات العربية والإسلامية المدونة فيما
يسمى بمرحلة التخلف عند المسلمين تشهد بأن عطاءهم الحضارى لم
ينقطع حتى عصرنا الحاضر، بالرغم من تخليهم عن الريادة وتخليهم عن
الركب الذى كانوا فى طليعته .

ويعتبر الدكتور علي مصطفى مشرفة واحداً من أبرز علماء القرن
العشرين الذين شاركوا فى صنع الثورة العلمية التى تجنى البشرية ثمارها
اليوم، ومن حقه علينا أن نعرف الأجيال بمآثره العلمية وجوانب شخصيته
الموسوعية التى جعلت منه خير خلف لخير سلف، فقد كان نموذجاً للعالم
المفكر الذى جمع، إلى جانب النبوغ العلمى، ثقافة شاملة ضمت
الأدب، والفلسفة والتاريخ والسياسة والموسيقى، وأقام بناء شخصيته
المتكاملة على رؤية إيمانية واضحة، ونية خالصة نقية، لتحقيق رسالة
العلم النافع للمجتمع والأمة، ابتغاء مرضاة الله، ودليلنا فى ذلك عبارة
كتبها فى خطاب إلى صديق لوالده، وهو فى مقتبل العمر قبل أن يكمل
العشرين ربيعاً، حيث يقول:

«.. أما وقد تطورت فى طور جديد من أطوار حياتى، أسأل الله أن
يجعله سبيلاً إلى تقواه، ومعيناً على طاعته، ومقرباً من جنة رضوانه..» .

إن وجود أمثال الدكتور على مصطفى مشرفة فى حياتنا المعاصرة
 يمثل ومضة تصلنا بعصر الازدهار الأول، ويؤكد إمكانية تحقيق البعث
 الحضارى للأمة إذا ما أعيد ترشيد العقل الإسلامى لينطلق فى تفكيره،
 كما كان، من ثوابت الدين الإسلامى الحنيف، العقيدية والعملية، ثم
 يتحرك فى إطار المتغيرات المرتبطة بهذه الثوابت، والمناسبة لطبيعة
 العصر، والمستشرفة لآفاق المستقبل؛ وذلك مصداقا لقوله تعالى فى كتابه
 الكريم: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ
 سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١٥٣] [الأنعام] .

* * *

نبوغ مبكر

ولد علي مصطفى مشرفة فى يوم ٢٢ من صفر سنة ١٣١٦ هـ الموافق ١١ يوليو ١٨٩٨ م فى حى المظلوم بمدينة دمياط، وهو من أسرة ميسورة الحال تعزز بشرف نسبها، وكان والده الشيخ مصطفى عطية أحمد جعفر مشرفة من المجتهدين فى علوم الدين، والمتأثرين بمدرسة الإمام جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده، والمتبعين نهجها فى التجديد الدينى والإصلاح الاجتماعى ورفض البدع.

وفى عام ١٩٠٨ م فقد والده ثروته كلها على إثر إحدى أزمات القطن الشهيرة التى تسبب عنها تدهور أثمان الأراضى وانهيار حال الأغنياء، فتبدل حال الأسرة، وازداد الأمر سوءاً بعد وفاة العائل فى عام ١٩١٠م، وكان «عليّ» وقتئذ يستعد لامتحان الشهادة الابتدائية، لكنه - رغم كل الظروف القاسية التى ألمت به - أظهر نبوغاً بإحراز المركز الأول فى هذه الشهادة على جميع طلاب القطر المصرى سنة ١٩١٠ م.

وانتقلت الأسرة إلى القاهرة، حيث واصل «عليّ» تعليمه الثانوى والعالى، إلى أن تخرج من مدرسة المعلمين العليا عام ١٩١٧ م، وكان ترتيبه الثانى بالرغم من نكته بوفاة والدته التى كان يحبها حباً جماً، فى عام ١٩١٦ م، فأهله هذا التفوق للسفر فى بعثة إلى إنجلترا لإتمام دراسته والحصول على دكتوراة الفلسفة Ph.D فى فبراير ١٩٢٣ م من كلية الملك بجامعة لندن، وهى أقصر مدة تسمح بها قوانين الجامعة، وتم انتخابه عضواً فى الجمعية الملكية الإنجليزية، ونشرت له أبحاث كثيرة فى أشهر المجلات العلمية الإنجليزية، ثم عاد إلى مصر ليتسلم العمل بمدرسة المعلمين العليا.

لكن طموح الشاب «علي مشرفة» لم يتوقف عند هذا الحد، فتمكن من الحصول على إجازة لإتمام دراساته وبحوثه فى إنجلترا على نفقته



صورة مشرفة بأنجلترا عقب سفره إليها في البعثة



درجة الدكتوراه في الفلسفة لمشرفة

الخاصة، ونال درجة دكتوراه العلوم D. Sc. من جامعة لندن عام ١٩٢٤، فكان بذلك أول عالم عربي يحصل على أعلى درجة علمية تمنحها جامعات بريطانيا وعمره لم يكن تجاوز ستة وعشرين عاما، ولم يسبقه فى الحصول عليها على مستوى العالم سوى عشرة علماء فقط.



الدكتور مشرفة وهو يدرس بمدرسة المعلمين العليا سنة ١٩٢٤ م عقب عودته من إنجلترا.

وعاد الدكتور على مصطفى مشرفة إلى مصر ليعمل من جديد فى مدرسة المعلمين، فكان الموظف الوحيد فى وزارة المعارف آنذاك الحائز على أعلى درجة فى العلوم. وعندما أنشئت كلية العلوم بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة حاليا) عام ١٩٢٥ م، عين فيها الدكتور مشرفة أستاذا مساعدا للرياضيات، ثم منح لقب أستاذ الرياضيات التطبيقية عام ١٩٢٦، فكان الأستاذ العربى الوحيد بين أساتذة الكلية الأجانب. وفى عام ١٩٣٦ تم انتخابه عميدا للكلية، وكان أول عميد مصرى لها، ثم انتخب وكيلا للجامعة (١٩٤٦ - ١٩٤٨) إلى جانب عمادته للكلية التى استمرت حتى وفاته فى يوم الإثنين الموافق ١٥ يناير ١٩٥٠ م.

إنما يخشى الله من عباده العلماء

إن وجود الخالق سبحانه وتعالى حقيقة مؤكدة، والإيمان به أمر فطرى فى الأنفس؛ ولذا فإن أول شعور يشرق فى أعماق الإنسان إذا تأمل فى نفسه، وفى الكون من حوله، هو شعوره بوجود قوة كبيرة مهيمنة على الكون تدبره وتنظمه، وتتصرف فيه بالحياة والموت والبقاء والفناء والتغير والتطور، والحركة والسكون، وكل ما يجرى فيه من أبعاد حكمه.

والبحث العلمى المتجرد عن الهوى والتعصب لابد أن يصل بالباحث إلى نتائج من الواقع الكونى توافق إحساس الفطرة الصادقة، وتوصل إلى الإيمان الخالص بالله تعالى وبصفاته الجليلة، وبكل مبدأ قرره الإسلام.. إسلام القرآن الكريم والسنة المطهرة.

من ناحية أخرى، يأتى الإيمان الخالص لله سبحانه وتعالى فى مقدمة الثوابت التى ينبغى أن تشكل عقلية العلماء، وإليه تُعزى القوة الدافعة للملكات الإبداع والابتكار، وبه يكون العقل أقدر على كشف الحقائق، وأكثر تهيؤاً لاستقبالها وقبولها، وفى كنفه تنكشف أمام الملكات الإدراكية للإنسان آفاق جديدة لم تكن فى الحسبان، ويُمَاط اللثام بإذن الله تعالى عن الأساليب الخفية والأسرار الكامنة من العلم الإلهي الشامل، وذلك مصداقاً لقوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة]

ولقد كان الدكتور علي مصطفى مشرفة عالماً مؤمناً بالله تعالى على هدى وبصيرة. فقد درس الديانات السماوية دراسة مقارنة، وحفظ القرآن الكريم، كما حفظ الصحيح من الأحاديث النبوية، وكان حاضر الذهن فى كل حين لاستحضار الصورة الكاملة للمفاهيم الدينية فى مختلف القضايا، والاستشهاد فى أحاديثه اليومية بآيات من القرآن الكريم وأحاديث الرسول الأمين ﷺ، وكان يحمل فى جيبه على الدوام مصحفاً

صغيرا، ويحرص على أن يتم واجباته نحو ربه بإيمان العالم الذى تعمق فى العلوم، وطوّف بأبحاثه فى أرجاء الكون بدءاً من الذرة ونواتها، وانتهاه بالمجرة وأجرامها، وعرف أن نسبة حجم الإنسان إلى حجم العالم تصلح لأن تكون تعريفا جيدا للصفّر الرياضى، كما أن أقصى قوة لعضلاته لا تزن مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء، ومع ذلك ففى هذا الجرم المتناهى فى الصغر أكبر معجزة فى الكون بأسره، لأنه - كما يقول مشرفة - كاد أن يصل بعقله وعلمه إلى محيط الكون، فقدّر أبعاده، وقاس عظمه.. . ولأن سرّ الأسرار فيه هو ذلك القبس المقدس الذى نشعر جميعاً أنه يميز الإنسان على سائر الحيوان، تلك القوة الروحية التى تحرك فينا حب الحق وحب الخير وحب الجمال، وعلى قدر استجابة البشر لذلك الداعى تأتى عظمتهم ورفعة شأنهم.

ويعبر مشرفة عن فلسفته الإيمانية فى إحدى مقالاته بقوله: «.. وعندى أن ما وصل إليه الإنسان من العلم، وما ترتب على ذلك من قدرة واختراع، إنما جاء على قدر طلبه للحقيقة وشغفه بالحق، كما أن حب الحق وحب الخير إنما يتفرعان من حب الجمال، فالحق والخير جميلان، ولذلك فمن أحب الجمال أحبهما جميعاً... والعلماء إذ يبحثون عن الحقيقة يسمون بعقولهم إلى سدرة المنتهى، وهم إذ يكشفون عن أسرار الكون تبرز نفوسهم بالحق والجمال..»

ويقول أخوه الدكتور عطية مشرفة: «.. كان (عليّ) مسلماً حقاً، يعبد خالقه، ويعمل بأوامره، ويتجنب العمل بنواهيه، ألم يقرر الإسلام أن العلماء وحدهم هم الذين يخشون ربهم من بين العباد، إذا هم سلكوا طريقهم إلى معرفة الله عن طريق العلم، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [٢٨] ﴿فَاطِرٌ﴾، ألم يرفع القرآن شأن العلماء كما فى قوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [١١] ﴿الْمُجَادِلَةِ﴾. ولذلك

كان يصلى ويصوم حتى فى بلاد الإنجليز، وكانت كل خطابه لنا - نحن إخوته الصغار - تحض على المحافظة عليهما، وكان يبدأ خطابه بالبسملة، ويقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ويتغنى بفضل الله عليه بقوله: الحمد لله الذى أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة. ربنا ما خلقت هذا باطلا، سبحانه أنت علام الغيوب، ويختتم رسائله غالبا بقوله: نسأل الله أن يسدد خطانا أجمعين. . وكان يحض زملاءه على وضع روايات أساسها تاريخ النبی عليه الصلاة والسلام، أو تاريخ الخلفاء الراشدين، والحوادث الإسلامية، فلا يجروا وراء الغربيين حتى فى رواياتهم، كأن ليس لنا تاريخ أو مجتمع نفكر فيه. .»

وكتب علي مصطفى مشرفة فى رسالة لأحد أصدقائه يقول: «حبل الله يا أحمد اعتصم به»، وفى رسالة أخرى يعاتب نفس الصديق عندما صبَّ جام غضبه على كل شىء لوفاة شقيقته، فيقول: «أيتها النفس المضطربة، أنت شيطانة نعوذ بالله منك، ونربأ إليه من شرك. . كلاً ثم كلاً يا أحمد، ليست هذه سبيل المسلم، ما كان هذا من الإيمان فى شىء. . فاعتصم بحبل الله، ذلك الدين القيم، تلك عظة لك وادكار، ومسبرة لإيمانك وجهدك. . المسلم ركنه الله. الله الذى خلق كل شىء ويدبر كل شىء. الله الذى ينصر ناصره، هو أقرب إليه من حبل الوريد. المسلم بين هذه الدياجير سراجة إيمانه وبصيرته، ثم إذاً هو عائد إلى بارئه ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر]، ولو شئت لطأطأت رأسك فمرت الموجة الهائلة، ولكن الشيطان دأبه أن يأمرك فترتفع رأسك يلطمها الماء، ثم إذا أنت فى سكرة يعبث بك كما تعبت القطة بفأرها. . متع نفسك بسرور الدنيا الطاهر، وكن إنسانا مسلما».

* * *

١٩١٩. ١ ذى الحجة ١٣٤٦ (١٥ سبتمبر ١٩٢٥)

أخي أحمد السلام عليك ورحمة الله وبركاته قرأت خطابك
إلى أخى ساميل ثم ذكر فيه خبر وفاة الموصية شفقتكم فزنت
لنفسك و سألت الله للعقيدة المقصودة .
ما كنت أظن أنه يا أحمد ؟ أليس نفسك ركزا لكثرة عقائده
إما وقوه بملك وأنبأ مسجبت على كل شئ باسم شخصيتك .
الفضيلة عنده ما يربط مرصته فتركت فيما تركت . فلهذا إجابة
الربنا إذا صلات بجانبك أنته سط بربك فربنا ساخط
نأتم نذا كما نعلم لم يفت له أفنه . فثبت بربك .
أبى النفس المخلقة . أهذه البركة الساحلة أنت سيطرة
معه بربك . فربنا إليه به شرك . كما أنهم لا يأمروا
ليس تحت سبيل السلام . ما كان . هذا به أبو جاده . شئ
وكان أنه فقه مخزبه وعزرائه . فاعظم بحمد الله ذلك الذي
القيم . ذلك عظم لك . وأدرك . وتنبهة لم يملك وجهك
أفنت أنه تيمنه فوفد رعدا كالحلقة بربك على الجليله
ما أجرك إن كنت مسيطر ذلك على صي الصفة فتعطل
الصفة . وبينما النفس مشرقه بربك إذا بالعا حنفة
تخطف العلوف . به به الصفة . والناسم بركته الله .
ربك الذي خلقه كل شئ . يدبر كل شئ الله الذي ينصر
أصده . وهو أنزب إليه به جعل الوبر . به السلام .
هذه الدائرة مسرحة إيمانه . وقصيرته . ثم إذا هو عائد
إلى بركته . لم يترك النفس المضمنة . إرجع إلى ربك إجابة
مرصته . فأدخلني في عبادي وأدخلني جنتك .
فأنت أنت . لو لي لك بركة الصفة . كذبت والله
زافرت . ولم كنت لها لهايت . بأسن حشرت الوجه الإله

الرسالة الرابعة لصدقه الدكتور أحمد ديان بينها بالمعنى الشئ أحد السكتة

وكلته الشيطان دأبه أن يترك منزع رأسك ليضطر الماء ثم إذا أملت
في سكرة يعمت بك شكا عبت القلعة بفأرجها. أما وقد كان
من أملت ما كان فزوت السيل دمع بين وأحاطك كداتيه
وإله ضارع إليه قبل فوات الذليل
واعل يهلك. واعل كأدرا كداتيه له نفلك رمتع نفل
بسرور الدنيا الطاهر ركن شاتأ شيل
أخوت
على

حاشية: أرسلت إليك صديق يوم مولدي في العشرين من
صعدة لدمج اسمي في نعتك اليوم لعلك رايتوا قبل

عطاء علمى متصل.. وطموح لا يتوقف

عاصر مشرفة مرحلة الثورة العلمية الحديثة التى بدأت معالمها مع بدايات القرن العشرين بظهور نظرية جديدة تنسب إلى العالم الألمانى «ماكس بلانك» وتقضى بأن الطاقة الحرارية والضوئية لا تنبعث من الأجسام الساخنة بشكل مستمر كما يخیل للبعض، وإنما تنبعث على شكل «دفعات» أو «نبضات» متتابة، لكل منها «قدر» أو «كم» معلوم. ولذا عرفت هذه النظرية باسم «نظرية الكم» Quantum Theory، وكانت موضع بحث علماء الطبيعيات الذين وجدوا فيها تفسيراً مقبولاً لكثير من الظواهر الطبيعية.

كذلك ظهر التفسير الذرى لانبعاث الضوء وامتصاصه، استناداً إلى نظرية العالم الدانمركى «نيلز بوهر» التى تقضى بأن مدارات الإلكترونات حول نواة الذرة تقابل مستويات أو مناسيب معلومة للطاقة. فإذا هبط إلكترون من أحد هذه المناسيب إلى منسوب أدنى، انطلق فرق الطاقة فى شكل موجة ضوئية يمكن حساب تردددها وتحديد موضعها فى الطيف الضوئى.

وكان الدكتور مشرفة ملماً بتاريخ العلم وفلسفته، ومدرکاً لطبيعة العلم وأصول البحث العلمى، فقد وصف جانباً من حالة الثورة العلمية فى عصره بقوله:

«إن نظرية الكم أحدثت شبه انقلاب، لا فى مباحث تركيب الذرة فحسب، بل فى دائرة أوسع من ذلك كثيراً تكاد تشمل العلوم الطبيعية والكيميائية بأسرها. بل لقد تعدى الانقلاب دائرة العلوم التجريبية إلى المباحث الفلسفية، فنشأت طائفة من الآراء والمباحث الفلسفية كان لها خطرهما فى تطور العلوم الفلسفية ذاتها. من ذلك أن مبدأ السببية، ذلك

المبدأ الذى يفترض ارتباط العلة بالمعلول ارتباطاً ثابتاً، والذى كان لتطبيقه أثر واضح فى نهضة العلوم الحديثة، هذا المبدأ قد تطرق إليه الشك، فبدأ العلماء يتكلمون بلغة الاحتمال بدلاً من لغة الجزم والتوكيد التى كانت متغلبة فى القرن الماضى . . .

وهكذا عاد بنا البحث عن تركيب الذرة إلى حيث بدأ، أى إلى الناحية المنطقية الشكلية، وليس معنى هذا أن البحث فى تركيب الذرة قد أصبح ضرباً من ضروب الكلام، بل بالعكس، لم يكن العلم فى وقت ما أكثر اتصالاً بالحقائق الواقعة، ولا أكثر انتصاراً فى ميدان التطبيق العملى، ميدان الكشف والاختراع، مما هو اليوم . . .».

* * *

كان معروفاً فى البحوث الطيفية أنه إذا تعرضت المادة لمجال كهربي تغير طيفها، فظهر مكان الخط الواحد خطان طيفيان أو أكثر، وهى ظاهرة معروفة باسم «تأثير شتارك» Stark effect. ومثل ذلك يحدث إذا تعرضت المادة لمجال مغناطيسى، وهى الظاهرة التى يطلق عليها اسم «تأثير زيمان» Zeeman effect. وقد دارت بحوث مشرفة فى بادئ الأمر حول تطبيق نظرية الكم بصورة معدلة لإيجاد تفسير نظري لظاهرتي شتارك وزيمان، ونشر خمسة من هذه البحوث فى مجموعة أعمال الجمعية الملكية بلندن، وهى البحوث التى نال من أجلها درجتى دكتوراه الفلسفة ودكتوراه العلوم ولم يكن قد بلغ الخامسة والعشرين من عمره.

ويتصل القسم الثانى من بحوث مشرفة بالعلاقة بين المادة والإشعاع، وكان من أول القائلين بأنه يمكن اعتبارهما صورتين لشيء واحد يتحول أحدهما إلى الآخر، وقد اقترن اسمه بهذه النظرية، واستشهدت المراجع العلمية برأيه، وأثنى عليه العلماء المشهورون أمثال «جيمس جينز» و«أولفر لودج» و«أوين ريتشاردسون» وغيرهم.

يقول السير «أولفر لودج» فى كتابه عن الإشعاع: «... وثم بحث استرعى انتباهى، وهو بحث الدكتور مشرفة بجامعة القاهرة، فى نشرة الجمعية الملكية للعلوم عام ١٩٢٩، وعنوانه «ميكانيكية الموجة وازدواج المادة والإشعاع»، وفيه يقول: إن كل الظواهر التى تبلغ سرعتها سرعة الضوء نسميها نحن إشعاعاً، بينما الظواهر العالمية التى ليس لها سرعة عالمية، أو عديمة السرعة، نسميها «مادة»، ومعنى ذلك هو أن الفرق بين المادة والإشعاع هو فرق فى السرعة لا أكثر ولا أقل، وهو فرق نسبى، فالمادة بسرعة الضوء إشعاع، والإشعاع فى السرعة الأقل من الضوء... مادة!»

ولم يكن هذا إلا تمهيدا لبحثه الأصيل الذى نشره فى مؤتمر دولى بزيورخ عام ١٩٣٢ وجعل عنوانه: «هل يمكن اعتبار الإشعاع والمادة صورتين لحالة كونية واحدة»، وهو البحث الذى ذاع به صيت مشرفة بين علماء العالم، ثم أعقبه ببحث آخر نشره فى مجلة المجمع العلمى المصرى عام ١٩٣٤ ودون فيه بعض آرائه عن العلاقة بين المادة والإشعاع استناداً إلى نظريته الجديدة فى التوحيد بينهما.

أما القسم الثالث من أبحاث مشرفة فيدور حول إيجاد هندسة جديدة، أو مقياس للفراغ، يكون فيها مسار الجسيم المشحون بالكهرباء عبارة عن خط «جيوديسى». وقد كانت هندسة الفراغ المبنية على نظرية أينشتين قد تعرضت لحركة الجسيم المتحرك فى مجال الجاذبية فقط،

وأثبت مشرفة أن مسار هذا الجسم هو خط جيوديسى، مثل كرة ملساء صغيرة، تركتها تسقط على جانب أملس بفعل الجاذبية، فإنك تجدها ولا مناص لها من اتباع خط واحد فى سقوطها هو الوحيد الذى يصل بها إلى سفح التل فى أقل زمن.

وهناك أبحاث أخرى لمشرفة لا تقل أهمية فى مجال الضوء وميكانيكا الكم وانشطار الذرة والتأثيرات المجالية على المادة، كان آخرها البحث الذى نشر قبل وفاته بثلاثة شهور فقط عن النقص فى كتلة نواة الذرة.

وقد حظى الدكتور مشرفة بشهرة عالمية واسعة، حيث انتخب عضواً فى العديد من الهيئات والجمعيات العلمية الدولية، منها الجمعية الفلكية البريطانية. واختارته الحكومة الأمريكية عضواً فى اللجنة الدولية للأبحاث الذرية.

ويذكر تاريخ الحركة العلمية فى مصر الحديثة لمشرفة أنه أنشأ واشترك فى تأسيس عدد من الجمعيات العلمية، وكان من أول الذين نادوا بأهمية الطاقة النووية وضرورة إنشاء هيئة لرعاية أبحاثها فى مصر. وامتد نشاطه ليشمل جوانب أخرى تعكس ما يتمتع به من شخصية إبداعية متكاملة، فقد كان عضواً مؤسساً لجمعية الصناعات المصرية، وجمعية نهضة القرى، واللجنة الأهلية للرياضة البدنية، وجمعية إنقاذ الطفولة المشردة، وغيرها.

وكان مشرفة ينوى أن يتوج حياته العلمية بالحصول على جائزة نوبل فى الرياضيات، وكان فى سنواته الأخيرة يرتب بحوثه ويعدها لهذا الغرض الذى كان تواقاً إلى تحقيقه، ولكن الله شاء أن يموت قبل أن يتقدم لهذه الجائزة.

* * *

تأصيل العلوم

العالم الحقيقي ليس مجرد باحث عن الحقيقة فى الأمر الذى يفحصه بالتجريب أو البرهان، بل هو صاحب الفكر العلمى المتكامل الذى يتعامل مع العلم باعتباره نشاطاً إنسانياً له إطاره العقائدى، ورصيده الحضارى، وهدفه الإنسانى، وهو عندئذ يكون معنيا بوصف وتقييم حركة العلم عبر مراحل التاريخ المتعاقبة للوقوف على عوامل تقدمه أو تعثره، وذلك من خلال متابعته الدقيقة لطبيعة المفاهيم العلمية ونموها عبر مراحل تطورها... وهذا يعنى أن الجمع بين الأصالة والمعاصرة من خلال تاريخ العلم وفلسفته يعتبر من أهم سمات الباحث الجيد الذى يكون بلا شك أقدر من غيره على ممارسة البحث العلمى برؤية أعم ومنهج أصوب وذوق أرقى.

ومن أسف أن يوجد من بين المؤرخين المحدثين والمعاصرين من يشوّه حقائق التاريخ والعلم على حد سواء، وذلك لأسباب عرقية أو مذهبية، وغالباً ما يطرح هؤلاء المؤرخون المتحيزون مسألة «العلم القومى» لإزكاء النزعة القومية، والمبالغة فى إثبات أسطورة الجنس الآري وتفوقه، والترويج لمقولة زائفة تقضى بأن العلم الذى أئنع فى أوربا النهضة لا يمكن إلا أن يكون غريباً.

ولهذا حرص العالم المصرى العربى المسلم «علي مصطفى مشرفة» على أن يؤرخ للعلم فى سياقه التاريخى الشامل، إيماناً منه بأن تأصيل الثقافة الذاتية لأية أمة، وتعزيز قيمها فى نفوس النشء يجعل سلوك الفرد متوافقاً مع فكر مجتمعه، وعاكساً لقيمه ومعتقداته. وأوضح مشرفة منهجه فى التعامل مع التراث العلمى عموماً بقوله:



صورة مشرفة فى أحد معامل الكلية

«تعنى الأمم بتراثها العلمى لأنه نوع من الغذاء الروحى لعلمائها ومفكرىها وسائر المتعلمين فيها، ولعلنا نحن المصريين أغنى الأمم تراثاً، فقد تعاقت علينا حضارات مختلفة منذ فجر التاريخ إلى اليوم، وفى كل حضارة منها قمنا بقسط وافر من واجبنا العلمى نحو الأسرة البشرية. . . وليس يكفى أن نتحدث عن مجدنا العلمى كما لو كان أسطورة أو حديث خرافة يتغنى به الشعراء ويتغالى فى وصفه الخيال، بل يجب أن يظهر هذا المجد فى صورة ملموسة تراها الأعين وتناولها الأيدي، لذلك كان من المهم أن نعنى بنشر الكتب التى وضعها آباؤنا وأجدادنا، خصوصاً إذا كانت هذه الكتب هامة الأثر فى تكييف التفكير البشرى».

وقدم مشرفة فى هذا المجال نموذجاً رائداً بتحقيق ونشر كتاب «الجبر والمقابلة» لمحمد بن موسى الخوارزمى، واشترك معه فى هذا العمل

الدكتور محمد مرسى أحمد، وحرصا على تأكيد هذا التوجه بالدعوة إلى الاستزادة من نشر كتبنا العلمية الأخرى المبعثرة فى متاحف العالم ومكتباته كى تصل إلى أيدي الجمهور العربى المثقف.

وكثيرا ما نادى «مشرفة» بوجوب أن نعنى بتمجيد السلف من علماء العرب وباحثيهم فيكون من ذلك حافز للاقتداء بهم وتتبع خطاهم، فتعقد اجتماعات تذكارية (تخليدية) فى عواصم البلاد العربية، تلقى فيها البحوث عن علماء العرب وآثارهم. وكان يقول:

«لقد ترجمت خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين كتب الفارابى، كما ترجمت كتب الخوارزمى فى الجبر والحساب، وكتب الرازى فى الطب، وكتب جابر بن حيان فى الكيمياء، وكذلك مؤلفات الفرغانى والبتانى والصوفى فى علم الفلك، وهذا قليل من كثير مما انتقل إلى أوربا فى أواخر القرون الوسطى من علوم العرب ومعارفهم».

ويتساءل «مشرفة» - وكأنه يشير إلى استمرار العطاء الحضارى للمسلمين حتى عصرنا الحاضر - فيقول: «كم من المصريين يعرف أن عالما مصريا هو محمود الفلكى قد قاس المجال المغناطيسى للأرض، ونشر نتائج أبحاثه فى أعمال المجمع العلمى الفرنسى بباريس سنة ١٨٥٦ م، وكم منا يعرف أن الكشف عن دودة ورق القطن قد تم على أيدي العالم المصرى عثمان غالب عام ١٨٧٩ م، وكلاهما عالم من الطراز الأول يستحق كل إكبار وتمجيد.. ولم لا نشيد بذكرهما كما يشيد غيرنا بذكر علمائهم وباحثيهم؟!».

وهكذا حمل «مشرفة» لواء الريادة فى مجال تأصيل العلوم والتعرف على البيئة والظروف التى سمحت للأفكار والاكتشافات أن تولد وتنمو وتزدهر، وتصبح بعد ذلك فروعاً أساسية فى شجرة المعرفة والحضارة الإنسانية.

* * *

إن من البيان لسحرا

كان مشرفة يحب اللغة العربية ويحرص منذ صغره على إتقانها، وكان أستاذه فى العربى بالمدرسة السعيدية، الشيخ المرصفى، لا يناديه إلا بلقب «سيد» لنبوغه، ولما لم تشبعه مناهج التدريس، أصبح يقرأ الكتب التى تقع تحت يده، ثم أغرم بقرض الشعر يافعا.

وكان أقرانه من الكتاب والأدباء والفصحاء يعجبون بسلامة منطقته، وقد حاول أحدهم أن يحصى عليه غلطة لغوية أو لحنة واحدة فى محاضرة عامة طويلة ألقاها، فلم يستطع. وتجلت فصاحته وملكته الجدلية الرائعة فى تلك المناظرات التى ناظر فيها أدباء مصر، أمثال طه حسين وأحمد أمين وعباس محمود العقاد، وكان كثير من الساسة والعلماء والأدباء والفنانين ورجال المجتمع فى عصره يجدون فى صالونه أنفسهم، فهو صاحب الثقافة الشاملة الذى يستطيع أن يشارك بعقله وفكره فى كل قضية مشاركة الخبير المتمكن.

روى الأستاذ توفيق الحكيم أنه تلقى من مشرفة سنة ١٩٣٤ م خطابا يهنته فيه على كتابه «عودة الروح»، وذكر مشرفة للحكيم فى خطابه أنه كان يتمنى أن يجد فى العربية مؤلفا له المقدرة على تخليد شخصيات الطبقة المتوسطة فى عصره على نحو ما فعله «تشارلز دكنز» فى عصر الملكة فيكتوريا، فلما قرأ كتاب «عودة الروح» عاودته ذكرى هذا الأمل فساءل نفسه: هل استجيب الدعاء؟!

قال الحكيم: «وقد أدهشنى أن عالما متخصصا فى الرياضيات العليا يمكن أن يهتم برواية «عودة الروح» وكان من الطبيعى أن أعرفه بعد ذلك

معرفة شخصية، فقد دعانى للغداء، فعلمت أنه على اطلاع واسع بالثقافة وفروعها من أدب وفكر وفن». . ثم تساءل الحكيم: «كيف أمكن أن يوجد لدينا عالم مصرى من هذا الطراز؟ يظهر أن مصر فى ذلك العهد قد نهضت وهى حبلى برجال ما كان أحد يظن أن فى إمكانها إنجابهم فى هذه الفترة».

ومن طُرفه فى هذه المناسبة ما ذكره صديقه عبده حسن الزيات، قال: «كنت أسير فى قصر الزعفران الذى جمع بين طلبتى الآداب والعلوم، فأخذ نظرى إعلان معلق على كلية العلوم بين مواعيد الامتحان بالكلية، وقرأت فيه أن طول الإجابة ثلاث ساعات، فلما لقيت عميد الكلية أو أستاذ المادة، أى الدكتور على مشرفة، اعترضت على هذا التعبير، وقلت إن الإجابة ليس لها طول ولا عرض، فرد على للتو قائلاً: ألم يقل عمرو بن العاص فى وصف مصر: «طولها شهر وعرضها شهر»؟ ومع أن المثلىين قد لا يتطابقان تمام التطابق، فإننى أعجبت بسرعة بديهته، ويقظة حجته، وسعة صدره، فقد تطلق ضاحكا بصوت مرتفع، كأنه لا يؤمن تماماً بصواب رده»!

ومثلما كان الدكتور مشرفة حفيا باللغة العربية وسلامة المنطق، حيث وهبه الله ملكة قوية فى البلاغة، وآتاه حاسة دقيقة فى البيان، وأسلوباً محكم النسيج، يمتاز بالسلاسة والسلامة والإيجاز والعمق، ف كذلك كانت لغته الإنجليزية موضع الإعجاب والتقدير، حتى من كبار الأساتذة الإنجليز الذين استمعوا إليه، أو قرأوا كتاباته، وبذلك بزغ نجمه فى الأوساط العلمية العالمية إلى الحد الذى شجع الإنجليز أنفسهم على اختياره رئيساً لجمعية المناقشات فى الكلية الملكية، وكان أول أجنبى

يرأسها . وتقول السيدة «لثبردج» التى كان يقطن عندها وهو طالب يتلقى العلم فى إنجلترا: «كانت لىالى جميلة تلك التى كنا نقضيها معه بجوار المدفأة وهو يقرأ لنا «دكنز» بصوته الهادئ الرزين» .

وعلى الرغم من هذا المستوى الرفيع الذى وصل إليه مشرفة فى الإنجليزية، فقد كان من أكبر أنصار التعريب للعلم والتعليم، وكان يؤمن بأن التأليف العلمى هو الوسيلة الفضلى إلى إيجاد لغة عربية تكتب بها العلوم . فأثرى المكتبة العربية بالعديد من الكتب العلمية المؤلفة والمترجمة، وأسهم فى نشر الثقافة العلمية المبسطة .

* * *

فلسفة الأخلاق

تكونت لدى مشرفة رؤية خاصة متميزة فى فلسفة الأخلاق، استمد عناصرها الأساسية من تعاليم دينه الإسلامى الحنيف، وجعل العلم والأسلوب العلمى سداها ولحمتها، واتخذ منها معياراً للحكم على أخلاق شخص أو مجموعة من الناس، فإن شئنا وصفا جامعاً لهذه الرؤية المتميزة لدى مشرفة، قلنا إنها فلسفة إيمانية مثالية عقلانية، ينشأ من خلالها مجتمعاً إنسانياً يتخذ من طلب العلم منبعاً من أصفى منابع الحق والخير والجمال. . ذلك أن رسالة العلم رسالة خالدة وأمانة غالية لا يحملها إلا من تطهرت نفسه، وعلت همته، ولا يتلقاها إلا من خشع قلبه للحق، واستنار ذهنه بنور اليقين.

وينطلق مشرفة فى بناء فلسفته الأخلاقية من مثاليته الإيمانية، كعالم رياضى فيزيائى، يرى الكون بعين العلم والعقل، ويفسر ظواهره تفسيراً منطقياً على أساس الاعتقاد بأن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون وأقامه على أعلى درجة من الترتيب والنظام والكمال، ودبره تبعاً لقواعد دقيقة ثابتة ومبادئ أبدية راسخة، وسنن ونواميس لا نستطيع لها تبديلاً أو تحويلاً.

ويوضح مشرفة العلاقة بين العلم والأخلاق على أساس أن طالب العلم طالب حقيقة، ومن طلب الحقيقة أحب الحق، ومن أحب الحق كان صادقاً، ومن كان صادقاً كان شجاعاً، ومن كان شجاعاً كان ذا مروءة، ومن كان ذا مروءة كان كريماً، ومن كان كريماً كان رحيماً وأحب الخير، وناصر العدل، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر.

فإذا أراد امرؤ أن يتأكد من وجود العلاقة بين العلم والأخلاق فعليه أن يبحث عن هذه العلاقة بين الذين يشتغلون بالعلم ويحملون رسالته، لا

بين الذين يلقبون بالعلم أو يحملون شهادته . ذلك أن العلماء الحقيقيين يتخذون من الروح العلمية سبيلاً إلى التعامل مع الأمور بنظرة بعيدة عن الغرض ، لا تشوبها الشهوة ، ولا تتسلط عليها الأنانية . ويرى مشرفة أن هذه الروح العلمية هي وحدها التي تصلح لمعالجة المشكلات العامة ، وحل المسائل القومية ، سواء أكان ذلك في ميدان الاجتماع ، أو ميدان السياسة ، أو ميدان الشؤون الاقتصادية والمالية .

ويرى مشرفة أن هذه الفلسفة الأخلاقية المثالية لا تعنى الانفصال عن مشكلات الواقع ، فهي باستنادها إلى العلم تُعين على محاربة الفساد والشر في المجتمع . . . ويعبر بكلماته عن هذه الرؤية فيقول :

«اليوم ، وقد امتزج العلم بحياة الأمم والأفراد ، قد صار لزاماً على رجال العلم أن يرفعوا لواء المثل العليا ، وأن يتعدوا عن الفلسفة المادية في جميع صورها وأشكالها ، كما صار لزاماً على الشعوب أن يتقبلوا رسالة العلم ، وأن يستعينوا بها على محاربة الشر ، وقد بينت أن الأرض لا تزال رحبة تتسع للناس جميعاً ، وأن القوى الموجودة على سطحها قوى عظيمة ، فإذا استعان بها الناس على قضاء حوائجهم ، وسخروها لخيرهم ورفاهيتهم ، مستعينين بالعلم والروح العلمية ، كان لنا أن ننظر للبشرية مستقبلاً يكفل طمأنينتهم وسعادتهم ، وسموهم» .

ولهذا كان مشرفة يعتقد أن الفلسفة الخلقية وليدة الجماعة ، ومن ثم فإنه ينشد الجماعة في أرفع صورها وأسمى معانيها ، ويؤثر عنه قوله : «أرني جماعة من الناس أدلك على فلسفتهم الخلقية» . ولقد كان يرى عيوب المجتمع الإنساني ، ويشكو سقطاته ، ويستاء من هفواته وسوآته ، ويألم لذلك كله ، ولكنه ، أبداً لم يسيئ الظن بالإنسانية أو ييأس من خيرها .

ذكر أحد أعوانه أمامه يوما قول أبي العلاء المعرى فى فساد الطبيعة الإنسانية :

وهكذا كان أهل الأرض مُذْ فُطروا فلا يظن جهول أنهم فسدوا

فاحتج مشرفة على هذه النظرة المتشائمة، واعترض على إساءة الظن بالبشرية، فهو يراها بخير فى جملتها وإن أصابها سوء فى بعض أجزائها، وهى سليمة فى كيانها وإن حل العطب ببعض أعضائها. . كان رأيه فى الجماعة مثاليا؛ لأنه يعتقد فى الخير للخير، وفى العدالة لذاتها، وفى الحق المطلق، وقد كان يؤمن بما يعتقد، ويعمل بما يؤمن به. . وكان يصطدم بالواقع المادى، ويناله من جراء ذلك ضرر وأذى، فيعجب ويتألم، ولكنه لا يرجع لأنه لا ييأس. . وما كان لمثله أن ييأس وهو المؤمن القوى الإيمان بالله ورحمته.

* * *

الفنان..

كان مشرفة يتمتع منذ طفولته بحاسة فنية أصيلة، وذوق جمالي رفيع، فعندما أنشئت فرقة تمثيلية من الطلبة بدمياط، انضم إليها. وأسند إليه الدور الأول فيها..

ولقد ظهرت موهبة الفنان مشرفة أكثر ما ظهرت فى ميوله الموسيقية التى حرص على صقلها بالعلم والدراسة، وبرع فى ممارستها بالعزف على «البيانو».. وكان مشرفة محبا للموسيقى الغربية الراقية، فقد درس مؤلفات بيتهوفن، وفاجنر، وشوبرت ومندلسون وغيرهم من أعلام الموسيقى، وكان مغرما بموسيقى جلبرت وسلفن بوجه خاص.. ولكنه حرص على تعريب هذه الموسيقى الغربية ليفيد منها أبناء وطنه، وخاصة أنه كان محبا لموسيقانا الشرقية القديمة، واستطاع أن يجرى أبحاثا علمية بمساعدة الدكتور محمود مختار لتحديد المسافات أو نسب الترددات التى تبنى عليها السلالم الموسيقية المستعملة فى مصر آنذاك، وتمكنا - مشرفة ومختار - من تصميم «بيانو» عربى يضم المفاتيح الإفرنجية مضافا إليها اثنا عشر زراً ينتج عن تحريكها استخراج الأصوات العربية وتصويرها، وكانت فكرة هذا البيانو قائمة على أساس إدخال تعديل ميكانيكى على الآلة يمكن بواسطته رفع أو خفض عددذبذبات الصوت الواحد، أى النغمة، بمقدار ربع مقام (تون).

وربما لا يعرف الكثيرون من هواة الموسيقى الآن أن الفضل فى الطريقة التى يتم بها تعريب النوتة الموسيقية يعود إلى مشرفة ورواد «الجمعية المصرية لهواة الموسيقى» التى شارك فى تأسيسها عام ١٩٤٢ وانتخب رئيسا لها، وانبثقت عنها لجنة تولت ترجمة «الأوبرات» العالمية إلى اللغة العربية.

* * *

قطوف من آراء مشرفة

* فى العلم والدين:

القرآن الكريم ملئ بالآيات التى تأمرنا بالنظر فى الظواهر الطبيعية المحيطة بنا، وتحضنا على استخدام الحواس والعقل معا، وإليك بعض هذه الآيات، لا على سبيل الحصر، بل على سبيل المثال:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿العنكبوت﴾ .

﴿أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ ﴿٤٦﴾ [الحج: ٤٦] .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ﴾ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر] .

وفى الحديث الشريف: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» .

فالدين إذاً يشجع على طلب العلم، ويأمر باستخدام العقل وسائر الحواس ويترك الفكر حرا فى تفسير الظواهر الطبيعية، ومنطق العلم منطق سليم فى نظر الدين أساسه المشاهدة، فالعين يجب أن ترى، والأذن يجب أن تسمع، والعقل يجب أن ينظر وأن يفكر، والطريقة الاستقرائية التى قال بها «باكون» إنما مرجعها إلى الحس وإلى التفكير السليم، فهى طريقة تتفق وما أمرنا به الدين من أن نسير فى الأرض وأن نسمع وأن ننظر .

ولكن هل الحياة البشرية، هل النفس البشرية، هي مجرد أن نرى وأن نسمع وأن نعلم، وإن العلم بهذا المعنى لا يخرج عن دائرة معينة، وهذه الدائرة هي دائرة الحقائق الموضوعية، دائرة الموجودات التي ترتبط بالحواس، إما ارتباطا مباشرا أو غير مباشر. إلا أن هناك أمورا تخرج عن دائرة الحقائق والنظريات العلمية، هذه الأمور هي التي يطلق عليها الفلاسفة اسم «القيم البشرية»، فحب الفضيلة مثلا والدفاع عنها، وكذلك حب الخير والتعلق به، وبغض الشر ومحاربته، والإيمان بالعدل والرحمة، كل هذه أمور لا تجدى فيها تجارب علماء الكيمياء ولا علماء الفلك ولا مشاهداتهم، ولا تنطبق عليها طريقة «باكون» ولا المنطق الاستقرائي؛ ذلك لأنها ترتبط بما هو أعمق من هذه جميعا، ترتبط بالحياة الروحية للنفس البشرية، فنحن نؤمن بالخير ونحارب الشر لأن هذا صادر عن عقيدة راسخة أساسها الدين، ونحن لا نتقبل جدلاً في إيماننا هذا لا من علماء الكيمياء ولا من علماء الفلك ولا من غيرهم، ولا يعيننا في هذا أمر النظريات أو الحقائق العلمية، بل إننا نحيا ونموت مؤمنين متمسكين بعقيدتنا ندافع عن الخير وعن الفضيلة وعن العدل، ونحارب الشر والرديلة والظلم، سواء أكانت الأرض هي التي تدور حول الشمس أو الشمس هي التي تدور حول الأرض، سواء أكانت الأجسام تتبع في سقوطها آراء أرسطو أو مذهب جاليلي.

صحيح أن العلم يعنى بالحقائق الموضوعية، وأن الدين يعنى بالقيم الروحية، ولكن طلب العلم في ذاته مبنى على قيمة روحية هي حب الحق، فطالب العلم طالب حقيقة، ولذلك كان الدين مشجعا على طلب العلم ودافعا إليه، ولذلك كان من الواجب على رجال العلم ورجال الدين أن يتعاونوا ويتناصروا في خدمة الحق وفي خدمة الفضيلة، فإن في تعاونهم وتناصرهم رفاهية البشر وسعادتهم.

حديث إذاعى فى ٢٩ / ٣ / ١٩٤٥

* فى طرق تشجيع البحث العلمى

فى الوقت الذى نقوم فيه بإنشاء جامعة حديثة بين ظهرانينا نتمثل فيها ألبابنا ودرر قرائحنا، وتكون برهانا على كفايتنا فى الابتكار، ومقدرتنا فى استكشاف الحقائق العلمية والإضافة إلى دخر العالم البشرى منها، فى هذا الوقت وجب أن ترتفع ثلاث صيحات:

فالصيحة الأولى: إلى آذان من طرخوا باب البحث العلمى من أبناء وطننا وذاقوا حلاوته، وأغلبهم لا يزالون فى مقتبل أعمارهم وغرة شبابهم؛ إلى أولئك الذين احتكوا بأساتذة الجامعات الغربية ورأوا كيف يكون الشغف بالبحث والانهماك فى طلب الحقيقة لذاتها؛ إلى أولئك الذين عاشوا فى أجواء الحياة العلمية وتجلّى لهم جمالها؛ إلى أولئك الذين طالعوا تاريخ النهضة العلمية الحديثة وعرفوا ما لاقاه رجالها من الصعاب فى سبيلهم، وما ذلّوه من العقبات فى طريقهم: إلى هؤلاء نرسل الصيحة: بأن واصلوا أبحاثكم بالروح العلمية الصحيحة، واصلوها، فمواصلتها حق عليكم للعلم، ولأمتكم ولأنفسكم، ولا يثنيكم تجشم مشقة، ولا يلهينكم مظهر من مظاهر الحياة الخلابة، ولا يقعدكم عدم اكتراث زيد أو حسد عمرو، بل ليكن فى مقاومتكم لهذه القوى وتغلبكم عليها فخر آخر يضاف إلى فخر قيامكم بواجبكم السامى، ولتتذكر أن كل اسم مصرى جديد يضاف إلى صفوف بحاثى العالم، وكل فصل ينشره أحدنا فى مجلة علمية، أو ابتكار يحدثه فى فرعه الخاص، كل واحدة من هذه بمثابة دعاية فى العالم أجمع ترفع من شأن وطننا، وتعالى من قدر المصريين بين الأمم، ولتتذكر أيضا أن المستقبل مملوء بالمفاجآت، وأن الحقيقة بنت البحث، وأن فى البحر - كما يقول الإنكليز - أسماك أكثر مما خرج منه، وما كان نيوتن يعلم فى مقتبل عمره أن اسمه سيكون على السنة العالم بأسره إلى مدى الدهر، ولعل

منا من يهديه البحث إلى علم يكون فيه تخفيف مصاعب الحياة على البشر، أو إضافة إلى سعادة المجموع الإنساني، فمن يدري؟.

والصيحة الثانية: إلى آذان من رزقهم الله الجاه والثرء من بيننا، ورزقهم أيضا ضمائر تقدر واجبهم نحو أمتهم، وبصائر تهديهم إلى الرشاد؛ من يريدون أن يعيشوا معززين مكرمين فى أمة عزيزة مكرمة، إذا هم فارقوا هذه الديار ظلت أسماؤهم حية بين ظهرانى الأجيال المقبلة، وإلى من سمعوا بما قام به روكفلر وكارينجى من المساعدات للعلم... إلى آذان هؤلاء نرسل الصيحة: بأن اجعلوا للبحث العلمى فى مصر نصيبا من جودكم، فنعم الغرض لبذل المال، ويا حبذا القصد بخدمة الجاه!..

والصيحة الثالثة: إلى من ولتهم الأمة زعامتها وألقت إليهم بمقاليد أمرها؛ من يعرفون كيف تساعد الحكومات العلم، وتشجع البحث والابتكار؛ من يريدون أن تفخر مصر بنظام حكومتها، وتباهى بمقدرة قادتها وبعد نظرهم وقدرهم لشأن النهضة العلمية الحديثة وتشيعهم للعاملين الغيورين، وتوفير أسباب نهوضنا العلمى... إلى آذان أولئك ترتفع الصيحة: أن خصوا البحث العلمى بنصيب فى ميزانية الدولة، فهو من أقوى لوازم كيانها وأهم العوامل على زيادة رفعتها وعلو شأنها، واشملوه برعايتكم وحسن عنايتكم، وشرفوا من يساعده بماله منا من نياشينكم، فنعم الشرف مساعدة العلم وحبذا الوسام مؤازرة العرفان.

هذه ثلاث صيحات قد تستفز النفوس وتحرك العواطف، وما دام فى مصر همم عالية، وبين جوانحنا قلوب سليمة، تتوق إلى المجد، وينبض فيها دم المروءة، فلن يؤثر قول المشائمين أو تثبيط المتقاعدين، والله الهادى إلى الصراط السوى.

جريدة الأهرام فى ١٧ أبريل ١٩٢٥

* فى حياتنا العلمية.. ماذا يعوزها؟

الحياة العلمية فى كل أمة تصل إلى أبعد من مجرد المعرفة، فقديما قيل: علم بلا عمل كشجرة بلا ثمر، والتبحر فى العلم والابتكار فيه إنما يتاح للأقلية الضئيلة، أما الأغلبية الساحقة فتطلب العلم كوسيلة لا كفاية، وليس فى هذا الخفض من شأن العلم، ولا المساس بمقامه، فالعلم منشأ لذة فكرية فى ذاته، وهو أيضا قوة لحل المشكلات البشرية، فلذته وقيمه مضاعفتان، والحياة العلمية بيننا يجب أن تشمل هذه الناحية التطبيقية للعلوم، وكما أنه من الخطأ أن يقتصر تفكيرنا العلمى على الناحية المادية. فكذلك من الخطأ أن يقتصر على الناحية الأكاديمية، بل إنى لا أعدو الحقيقة إذا قلت إن مستقبل مصر فى الجيل القادم وما بعده سينى على مقدار نجاحنا فى إنشاء الروابط المتينة الحية بين العلوم البحتة وبين العلوم التطبيقية، أو بين العلم والعمل (الصناعة) . . .

ولابد من الإشارة إلى ناحية أخرى من نواحي حياتنا العلمية يجب علينا أن نميزها بالعناية فى السنين القادمة، هى ناحية التأليف العلمى، وأقصد بالتأليف العلمى تدوين العلوم باللغة العربية بحيث تصبح لغتنا غنية بمؤلفاتها فى مختلف العلوم . .

ونحن إذا شئنا أن نعيد إلى لغتنا مجدها العلمى، فعلينا أن نعنى بتشجيع التأليف والتدوين والنقل . . . وموضوع التأليف العلمى وارتباطه بحياتنا الفكرية إنما هو جزء من موضوع أوسع وأعم، ألا وهو العلاقة بين حياتنا العلمية الماضية والمستقبلية، وهو موضوع الأسس التى يجب أن نبني عليها صرح مجهودنا العلمى، فالحياة العلمية فى كل أمة عنصر هام من عناصر ثقافتها العامة، وكما أن الأمة المتحضرة تكون لها ثقافة أدبية ترتبط بتاريخها وتتجسم فى لغتها ويكون عنوانا عليها ذلك التراث الخالد من شعر شعرائها ونثر كتابها، وكما أن الأمة المتحضرة أيضا تكون لها

ثقافة فنية تتمثل فيما أبدعته أيدي فنانيها فى مختلف عصور تطورها من تلك الرموز الملموسة على المشاعر الخفية، تلك الرسائل الملهمة التى تنبعث من قلب الفرد فتصل إلى قلب الأمة، وربما تعدته إلى قلب الإنسانية ذاتها، أقول: كما أن الأمة المتحضرة تكون لها هذه الثقافة الأدبية وتلك الثقافة الفنية، وغير هاتين من ثقافة خلقية ودينية وسياسية وما إليها، كذلك تكون للأمة المتحضرة ثقافة علمية ترتبط بتاريخ التفكير العلمى فيها وتحتوى ما ابتكرته عقول أبنائها من الآراء والنظريات العلمية، وما وصلت إليه من الكشف فى سائر ميادين البحث العلمى، وما فعلته وهذبته واستساغته من آراء غيرها مما دخل فى صلب المعرفة البشرية على مر العصور والأجيال.

وحياتنا العلمية فى حاجة إلى أن نتصل بماضينا فنكسب بذلك قوة وحياء وإلهاما، ونحن فى مصر اليوم ننقل المعرفة عن غيرنا ثم نتركها عائمة لا تمت إلى ماضينا ولا تتصل بتربيتنا، فهى بضاعة أجنبية عليها مسحة الغرابة، غرابة فى اللفظ وغرابة فى المعنى، إذا ذكرت النظريات قرنت بأسماء أعجمية لا يكاد المرء منا يتبين معالمها، وإذا عبر عن المعانى ببالفاظ مخيفة يفرّ منها الفكر، وترتبك أمامها المخيلة، فيجب أن نعمل على تغيير هذا الحال . . .

التأليف العلمى وإحياء كتب العرب وتمجيد علمائهم، أمور ثلاثة يجب أن تدرج فى جدول أعمال حياتنا الفكرية فى المستقبل القريب

مجلة الحديقة والمنزل فى أول نوفمبر ١٩٤٣

* فى النقد الأدبى

عزىزى الأستاذ توفيق الحكيم

لطالما تاقت نفسى إلى رؤية أدب عربى أجد فيه الغذاء الروحى واللذة الفكرية، اللذين ألفتهم فى أدبنا إلى المستوى العالمى، كنت أشعر بأن إيمانى باليوم الذى يرتفع فيه أدبنا إلى المستوى العالمى، كنت أشعر بأن هذا اليوم سيجىء بحكم طبيعة الأشياء متأخراً، فربما رآه أهل جيلى، وربما حبت به الظروف أبناء جيل قادم. فلما قرأت «أهل الكهف» - الذى تكرمته علىّ بنسخة منه - علمت علم اليقين أن اليوم الذى كنت أترقبه قد طلع وملاّت شمسهُ الآفاق.

تعلم أننى لست من الأدباء، ولا من المتأدبين، وإنما نظراتى إلى الأدب كنظرتى إلى غيره من نواحي الفن الإنسانى، نظرة الرجل المثقف العادى يطلب الجمال والإلهام الصادق حيث يجدهما، كما يتطلب مستوى خاصاً من التفكير المطلق المخلص فيه لوجه الحق حيث وجد، وفى رأى أن «أهل الكهف» قد ارتفع من كل هذه النواحي إلى أسمى ما قرأته. وإن كانت لى ملاحظة على كتابك فربما كانت شيئاً من التجديد فى دائرة ما تناولته فيه من الموضوعات، فما كان أشوقنى إلى رؤية بعض المسائل الاجتماعية مثلاً تعالج بنفس القلم الذى صور لنا إيمان المسيحيين الأولين، وقابل لنا بين الحقيقة والتاريخ، ولكن لعل ذلك شراهة منى، فالوليمة ولا شك فاخرة، وإن كانت تشحذ شهية أمثالى!

لا تنتظر منى نقداً فنيا لروايتك التمثيلية، فأشخاص الرواية كلهم
أحياء يتحركون ويلمسون - ربما كان الملك أقل الشخصيات وضوحاً،
ولعلك تريده عديم الشخصية - والمواقف على أشد ما تكون من التشويق
والتأثير، وإلى حد ما أستطيع أن أرى، ستكون روايتك ناجحة على
المسرح إذا استطعت أن تجد لها ممثلين يفهمون أدوارهم فيها، وأظنها
تكون ناجحة بدون ذلك!

ولم يبق على بعد هذا إلا أن أشكرك على التحية التى انطوى عليها
إرسالك نسخة من كتابك إلى، وأن أرجو لك ما أنتظره لك من التوفيق،
والسلام.

رسالة إلى توفيق الحكيم بتاريخ ٢٣ يولية ١٩٣٣

* فى الموسيقى

من أغانى شوبرت الخالدة، الأغنية التى صاغ فيها مقطوعة شكسبير المعروفة والتى يترنم فيها باسم «سيلفيا»، وقد تعلقت بهذه القطعة منذ أن كنت طالبا بإنجلترا، وخطر لى أخيراً أن أضع لها ألفاظا عربية بحيث يمكن أن نغنيها بلغتنا. ولعله قد آن الأوان لأن تدخل هذه الأغانى الشبيهة بالكلاسيكية فى ضمن ثقافتنا الموسيقية وتنتشر بيننا، وقد حاولت قدر استطاعتي أن أجعل الألفاظ العربية منطبقة على التوقيع الموسيقى، ومع أننى غير راض تمام الرضا عن النتيجة، إلا أننى مع ذلك أعتقد أنها تستحق النشر، إذ لعل فى نشرها ما يشجع من هو أقدر منى على أن ينحو هذا النحو. وإليك على الصفحة التالية الألفاظ الإنجليزية والألفاظ العربية التى وضعتها، وأتمودج من التدوين الموسيقى لمطلع الأغنية. . (من هى سيلفيا؟) (*) .

مجلة كليوباتره، فى أول يناير ٣٦



(*) نشرت مجلة كليوباتره فى العدد الأول الموافق أول يناير ١٩٣٦، والألفاظ الإنجليزية لشكسبير والتوقيع لشوبرت.

Who is Sylvia, What is she?
That all our swains commend her?
Holy, fair and wise is she;
The heav'ns such grace did lend her,
That adore'd she might be.
Is she kind, as she is faire?
For beauty lives with kindess;
To her eyes love doth repair,
To help him of his blidness;
And being help'd in habits there.
Then to Sylvia let us sing,
That Sylvia is excelling,
She excels each mortal thing,
Upon the dull earth dwelling
To her garlands let us bring.

من هي سيلفيا، ماذا هي؟
قيم الحى ثناها؟
جمعت قدساً حسناً وحجى،
والله الفضل أتاها،
كيما تعشق بين الورى
هل رحمتها كملاحتها؟
فالرحمة للحسن قرينة،
لجأ الحب إلى عينيها
يتطلب لعماء معونة
فهو يعان ويسكن فيها.
باسم سيلفيا فلتترنم،
أن سيلفيا فائقة،
كل شىء قد تنسم
فوق الثرى سابقة،
لها بالزهر فلتتقدم.

بجناح من الأغاني

موسيقى مندلسون

نظم على مصطفى مشرفه

[« مندلسون » (١٨٠٩ - ١٨٤٧م) عاش قليلا وترك في حياته القصيرة أثراً كبيراً، وموسيقية غنية لا تقل - قيمة وعدداً - عما خلفه أشهر مؤلفي القرن التاسع عشر. وقد وضع ألفاظ هذه القطعة أصلاً الشاعر الألماني العظيم «هاينريتش هايني» المتوفى عام ١٨٥٦م. وقد ترجمت إلى أكثر اللغات الحية].

كَبْرَاقٍ يَطْوِي الْآفَاقُ	بِجَنَاحٍ مِنَ الْأَغَانِي
وَأَحْلُكُ أَرْضَ الْأَشْوَاقِ	سَأَقُودُكَ نَحْوَ الْأَمَانِي
فِي الْحُسْنِ جَنَّاتِ رِضْوَانِ	أَرْضُ أَفْنَانِهَا حَاكَتْ
إِذْ أَنْتِ وَالزَّهْرُ صِنَوَانِ	أَغْصَانُهَا لَكَ قَدْ تَاكَتْ

بِالطَّلِّ قَدْ أَسْكَرَ الْبَانَ	فِي لَيْلَةٍ بَدْرُ سَنَاها
مِنْ بَيْنِ نَوْرٍ وَرِيحَانِ	نَاشِراً عَطَرَ شَذَاها
وَأَسَرَّ لِلوَرْدِ نَجْوَاهُ	هَمْسَ النَّرْجِسِ فِيها
إِذْ بَثَّها النَّهْرُ شَكْوَاهُ	وَأَنْشَتِ الْغِرْلَانُ تِيها

مِنْ فَوْقِ الزَّهْرِ الْبَسَامُ	فِي ظِلِّ النَّخْلِ الْمُتَرَامِي
فِي خُلْدٍ مِنَ الْأَحْلَامِ	فَلَنَرُقُدَ فِي صِمْتٍ سَامِي

ON WINGS OF SONG.

English words by
PAUL ENGLAND

Music by
MENDELSSOHN

On wings of song I'll bear thee
To these fair Asian lands,
Where the broad wave of the Ganges
Flows on through its flow'ry strand.
For there, in a roseate garden,
Where the moon charm'd breeze is dumb,
Thy lovely kin the lotus,
Wait till their sister come.
The lovely Lotus are waiting,
Until their sister come.
The violets whisper together,
And gaze on the star-lit skies,
Tenderly swaying, the roses,
Will mingle with perfum'd sighs.
Over the leaves come leaping,
The soft-eyed wary gazelles,
And from the sacred river,
A distant murmur swells.
Beneath the palm-tree shadows,
Stretch'd on the breathing flowers,
We'll drink the love-laden silence,
And dream through blissful hours.

الأصل الإنجليزي

بجناح من الاغاني

نظم : علي حطيط مشرق

موسيقى : - بشير كشور

الموسيقى

مواقف ... ذات مغزى:

* عندما وجهت جامعة « برينستون » Princeton الأمريكية الدعوة إلى الدكتور مشرفة عام ١٩٤٧ لإلقاء سلسلة من المحاضرات فى الفيزياء الذرية، واستجاب مجلس الوزراء لإلحاح الجامعة الأمريكية التى يقوم بالتدريس فيها آنذاك نخبة من أشهر علماء العالم من بينهم «ألبرت أينشتين»، فوجىء الدكتور مشرفة عند ركوب الطائرة بأن الملك السابق فاروق ألغى قرار مجلس الوزراء بنبذه أستاذا زائرا لأمريكا، ولكنه أصر على مواصلة السفر رغم هذا الإلغاء، وسافر على نفقته الخاصة، وعندما وصل إلى إنجلترا أحس بالتعب وفضل الذهاب إلى سويسرا للعلاج، ثم اضطر للعودة دون أن يزور أمريكا.

* طلب أحد مديرى المصالح من أخى مشرفة وأحد الباشوات أن يصحبه ليتوسطا لدى الدكتور مشرفة لإلحاق أبنه بالجامعة رغم قلة مجموع درجاته، لكن الدكتور مشرفة قال لهم بأدب «العدل يقضى بتكافؤ الفرص، وهو عندى المقياس الدقيق الذى يرتضيه ضميرى».

* حدد الدكتور مشرفة موعدا لضابط حرس الكلية يقابله فيه بمكتبه، فتأخر الضابط دقيقتين، وما إن رآه الدكتور مشرفة حتى ابتدره بقوله: «انظر فى ساعتك تجد أنك تأخرت دقيقتين، والدقيقة الواحدة لها قيمتها فى هذا العصر. . والوقت من ذهب فلا تتركه يضيع سدى، وكن أميناً على مواعيدك».

* عندما استدعى أحد كبار رجال وزارة المعارف (التعليم) ذات مرة عمداء الكليات ليجتمعوا فى دار الوزارة، تخلف الدكتور مشرفة لأنه لا يقر أن يجتمع العمداء إلا فى المكان المخصص لهم بالجامعة.

* أعلن الدكتور مشرفة فى شجاعة دستور التقاليد الجامعية الصحيحة بقوله: «إنى لا أطلب من القادة والحكام فى مصر سوى ترك الجامعة تؤدى رسالتها السامية، بعيدة عن الميول السياسية، وترك الطلبة لإتمام دراستهم فى هدوء واستقرار. . إن أفضل الزعماء والكبراء عندى هو من يؤدى للجامعة مساعدة، ويشد أزر العلم، ويعاون العلماء على

أداء رسالتهم فى هدوء، ويحفظ لهم كرامتهم واستقلالهم».

* «اقترح الدكتور مشرفة على مجلس الجامعة قبول الطلبة والطالبات من البلاد العربية والأفريقية بكلية العلوم، ووافق مجلس الجامعة على رأيه، وفى حفل حضره الملك عبد العزيز آل سعود والملك السابق فاروق بالجامعة سنة ١٩٤٦ م قال مشرفة: «إن هذه الجامعة دار للآداب والعلوم لتثقيف مصر والبلاد العربية، وتحرص على المشاركة فى الحضارة البشرية كلها، وتود أن تساهم فيها بنصيب يكافئ مكانة العرب وتاريخهم، وإنها ساعية جهدها لتردّ إلى العرب مكانتهم فى العلوم والآداب، وتصل حاضرهم بماضيهم، وتعد لمستقبل عظيم مجيد...».

* عندما أقام اللورد كليرن (سير مايلز لامبسون) حفلة فى دار السفارة البريطانية، وكان الدكتور مشرفة يقف بجواره، تقدم منه أحد المسئولين فى السفارة وسأله ببرود وسخرية: «أحقا يا دكتور مشرفة إن أغلبية الشعب المصرى تكرهنا؟!!!».

Do you think that the majority of Egyptians hate us?.

فرد عليه الدكتور مشرفة ببرود أشد وأنكى، قائلاً: «ولماذا تغفل

الأقلية يا سيدى»: **What is wrong with the minority?**

ووجم الجميع، وبهت كيلرن، وانصرف الدكتور مشرفة بعد أن اقتصّ لكرامته وكرامة أمته.

* عندما مُنح الدكتور مشرفة رتبة «الباشوية» سنة ١٩٤٦م، لم يذهب إلى القصر للشكر كما جرى العرف، وعندما توافد أعضاء هيئة التدريس لتهنئته، استنكر منهم ذلك قائلاً: «هل الباشوية أعلى رتبة من الدكتوراه؟ إن لقبى الذى أعزّ به «دكتور» وليس «باشا».

* آخر ورقة وقّع عليها الدكتور على مشرفة آخر مرة حضر فيها لكلية العلوم جامعة القاهرة قبل وفاته فى يناير سنة ١٩٥٠م كانت «شيكاً» من حسابه الخاص مساعدة لطالب فقير لم يتمكن من سداد مصروفاته. وقد رد البنك هذا الشيك لعدم إمكان صرفه لأنه وصله بعد وفاته، فتكرمت السيدة الجليلة حرم العالم النبيل بتحرير شيك آخر من حسابها الخاص.

* * * * *

أهم المراجع

- أعمال الدكتور علي مصطفى مشرفة (بحوث علمية - كتب مؤلفة و مترجمة - محاضرات - مقالات - أحاديث إذاعية).
- محمد بن موسى الخوارزمي، كتاب الجبر والمقابلة، تحقيق على مصطفى مشرفة ومحمد مرسى أحمد، مطبعة بول بارييه، القاهرة ١٩٣٧.
- د. عطية مشرفة، الدكتور علي مصطفى مشرفة. ثروة خسرها العالم، مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة، ١٩٦٦.
- محمد محمد الجوادى، مشرفة بين الذرة والذروة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٠.
- أحمد عبد الرحمن سباق، الدكتور علي مصطفى مشرفة باشا، يولية ١٨٩٨ - يناير ١٩٥٠، الطبعة الثانية، القاهرة، مايو ١٩٥٠.
- مقابلات شخصية مع بعض تلاميذ مشرفة وأبناء جيله حفظهم الله.

٩٨ / ٨٧٠٧	رقم الإيداع
977-10-1142-2	I. S. B. N الترقيم الدولي